شيراز

تصدر عن
مركز الفكر والفن الاسلامي

نافذة على الادب الايراني

المشرف العام: حسن بنيانيان

العدد الخامس / صيف ٢٠٠٦

نـافـذة ٢

رسول العشق الصوفي / حوار مع الدكتور فكتور الكك. / سمير أرشدي ٤

دراسات

مدخل الى فن الكتابة القصصية في ايران / د. يعقوب آجند ٢٢

من سُكّر سمرقند / د. ابراهيم خدايار ٣٨

شعر / تعريب : موسى بيدج

منوجهر آتشي ٤٨

علي موسوي گرمارودي ٥٤

ناهيد يوسفي ٦٢

ضياء الدين ترابي ٦٨

سهيل محمودي ٧٤

قصص / تعريب : حيدر نجف

مراسم تدفين / فيروز زنوزي جلالي ٨٢

صوفيا لورين / سيد مهدي شجاعي ٩٢

ابن السيدة / محسن مؤمني ١٠٠

اصفهان عاصمة ثقافية للعالم الاسلامي ١٠٨

زيارة ١١٤

أمسية الشعر الفلسطيني ١١٦

رئيس التحرير: موسى بيدج

المدير الفني والرسوم: باسم الرسام

لجنة الترجمة: حيدر نجف، سمير ارشدي، صادق خورشا، موسى بيدج

سعر النسخة : ١٢٠٠٠ ريال ايراني

المراسلات: طهران - شارع حافظ - تقاطع سميّة - مركز الفكر والفن الاسلامي مكتب مجلة شيراز

طهران - ص. ب: ١٦٧٧ / ١٥٨١٥ - تلفاكس: ٨٨٨٩٥٥٤٣

د.ابراهيم خدايار

عضو الهيئة العلمية في مركز أبحاث اللغة والاداب الفارسية، جامعة «تربيت مدرس»

من سكر سمرقند

الخلاصة:

الكلام عن الدور الذي مارسه الشعراء والكتاب في بلاد ما وراء النهر لتكوين واثراء اللغة والاداب الفارسية على امتداد التاريخ الذي أعقب دخول الاسلام الى العالم الايراني، ربما كان توضيحاً لواضحات ساطعة. على أن الذي قطع اخبار الشعراء والكتاب والعلماء والباحثين بين ضفتي جيحون هو انفصال المصير السياسي للشعبين بعد قيام الدولة الصفوية في ايران والاوزبكية الشيبانية في ما وراء النهر في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، والذي بلغ ذروته في القرن العشرين مع نشوب الثورة الروسية ١٩١٧م وقيام جدار الشيوعية الحديدي حول تلك المناطق. ما الذي جرى على ابناء رودكي في ماوراء النهر في مدن سمرقند، وبخارا، وترمذ، وفرغانه، وطاشقند العريقة خلال ما يقارب القرن من الهيمنة الشيوعية السوداء؟ اعلم تنفتح كوة على الماضي الحافل لأجداد هذا الشعب بعد انهيار اسوار الشيوعية البائسة في تلك الانحاء عام ١٩٩١م؟ سنحاول في هذه الفرصة العاجلة الاطلال بنحو جلي ومباشر على الشعر الايراني المعاصر في تلك المناطق خلال القرن العشرين بالنظر للواقع الذي عاشته خلال العقدين المنصرمين.

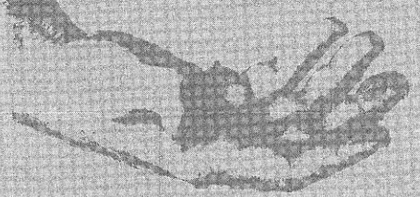

مدخل:

التطورات السياسية الهائلة التي شهدتها منطقة ماوراء النهر على امتداد القرن العشرين، وزعت تاريخها المعاصر الى ثلاث فترات حساسة ومصيرية انتهت الى انبثاق وحدات جغرافية جديدة في المنطقة لكل منها هويتها الثقافية والاجتماعية المميزة:

١ ـ سنوات ١٩٠٠ ـ ١٩٢٤م

٢ ـ سنوات ١٩٢٤ ـ ١٩٩١م

٣ ـ سنوات ١٩٩١ ـ ٢٠٠٠م

في الحقبة التاريخية الاولى (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤م) كانت اللغة الفارسية هي اللغة الادبية في ثلاث وحدات جغرافية ـ سياسية هي القائمقامية العسكرية لتركستان وعاصمتها طاشقند، واقطاعية خوارزم وعاصمتها خيوة، وأمارة بخارا وعاصمتها بخارا. وفي المنطقة الاخيرة أي بخارا وبعض المدن الكبرى في المناطق الاخرى نظير سمرقند، وترمذ، وخجند، كانت الفارسية لغة الأم للسكان والقاطنين. طوال هذه الأعوام كانت بخارا وسمرقند وخجند مركز التطورات الادبية للناطقين بالفارسية في ماوراء النهر. وهنا ايضاً ابدع اول الشعراء المجددين لمناطق ماوراء النهر اعمالهم ومنجزهم الادبي. فطرت بخارائي (مقت ١٩٣٧م)، وعيني (ت ١٩٥٤م)، ومنظم (ت ١٩٣٤م)، وعجزي سمرقندي (ت ١٩٢٦م)، واحمد وصلي (ت ١٩٢٥م)، واسيري خجندي (ت ١٩١٦م) كانوا من رواد الشعر الفارسي الحديث في ماوراء النهر. ونخص بالذكر هنا الدور الذي اضطلع به فطرت في تكوين الشعر والنثر في عصر الصحوة ببلاد ماوراء النهر، والذي تزامن مع تطورات هامة في المضامين والمرتكزات الشعرية الرئيسة من قبيل تكريس مفاهيم الوطن، والاستقلال، والحرية، والاساليب الحديثة في التربية والتعليم. ولا مندوحة كذل من الاشارة الى القصائد الثورية لعيني في اثارة الرأي العام السياسي خلال ذل المقطع الزمني (نموذج الادب الطاجيكي، ٥٣١: بحوث ٩٣ـ١٢٦).

في الحقبة التاريخية الثانية من ١٩٢٤ حتى ١٩٩١ وعلى مدى ٦٧ عاماً ظهرت في هذه المنطقة خمس وحدات جغرافية جديدة هي: كازاخستان، قرغيزستان، تركمنستان، اوزبكستان، وطاجيكستان، ارتكز فيها التقسيم على الفوارق العرقية، واللغوية، والسياسية اكثر من توكّئه على الماضي التاريخي والثقافي والادبي. كلما

تقادمت السنون بالجمهوريات السوفيتية خلال هذه الحقبة، كلما هبطت اهمية اللغات المحلية وتضاعف دور اللغة الروسية في مؤسسات الدولة وحتى الثقافة العامة والحياة العائلية اليومية، الى درجة أن بعض الناطقين بالطاجيكية وممثليهم وهم الورثة الأبرز للغة الفارسية في المنطقة لم يكن يمنعهم شيء من القول «نفخر أننا طاجي ناطقون بالروسية» (هنا خراسان، ٢٨٤).

مضافاً الى جمهورية طاجيكستان التي تواصلت فيها حياة اللغة الفارسية منذ ١٩٢٤ بأسم اللغة الطاجيكية لتمثل لغة الأدب والسلطة هنا، أُقصيت الفارسية بنحو تام من أروقة النظام الحكومي في الجمهوريات الاخرى، باستثناء جمهورية اوزبكستان التي كانت احد المراكز التقليدية القديمة للادب الفارسي بفضل مدنها المهمة كسمرقند، وترمذ، وبخارا، وفرغانه، حيث واصلت الفارسية حياتها هنا على نحو محدود بين الناطقين بالطاجيكية في نظام التربية والتعليم والعوائل. هاجرت الكثير من الشخصيات الثقافية والكتّاب والشعراء خلال سنوات هذه الحقبة من انحاء مختلفة في مناطق ماوراء النهر الى جمهورية طاجيكستان حديثة التأسيس، واستعادت مدينة دوشنبه بوصفها عاصمة هذا البلد الجديد مكانتها السابقة في مضمار الحركة الادبية. وقد نقمت السلطة الشيوعية بعد ثورة ١٩١٧م على كافة الشعراء الذين لم يرضخوا للدخول في دائرة الأدب السوفيتي. شخصيات من قبيل تمهيد سمرقندي (ت ١٩٧٥م) الذي قضى اعواماً طوالاً من عمره في السجون السوفيتية، وأحرق القسم الاكبر من اعماله امام عينيه. كما اضطر خوبي سمرقندي (ت ١٩٧٦م) ووافي سمرقندي (ت ١٩٧١م) والعشرات من الشعراء غيرهم الى مغادرة الوطن والاقامة في العربية السعودية، وافغانستان، وتركيا، ومصر (اوراق لم تحترق، ٥ـ٧، ارمغان ٧ـ١٠).

الشعر الفارسي المعاصر في اوزبكستان خلال عهد الاستقلال

الانحسار الحقيقي الذي شهدته اللغة والاداب الفارسية في هذه المناطق منذ عقد الثلاثينات من القرن العشرين، بلغ ذروته في الستينات. ولكن مع اطلالة السبعينات والثمانينات والتي افضت الى الحقبة التاريخية الثالثة (١٩٩١ ـ ٢٠٠٠) واستقلال

هذه البلدان، وتزامناً مع اكتمال شخصية ومكونات جيل اللغة والاداب الطاجيكية المعاصر في طاجيكستان، بداءت تترعرع وتنضج اسماء ناجحة نسبياً على أرض طاجيكستان. ولعل جاني بي قوناقوف (١٩٤١ - ١٩٩٠م) من أبرز شعراء هذا الجيل. لا جرم أن الادب الفارسى المعاصر في اوزبكستان مدين لهذا الشاعر الذي يعد الجيل الجديد من شعراء الفارسية في طاجيكستان من بعد ١٩٨٥م انفسهم مدينين لجهوده ومساعيه في سبيل بعث لغتهم الأم.

والواقع أن اعلان البيروسترويكا والغلاسنوست في الاتحاد السوفيتى عام ١٩٨٥م مثّل نقطة عطف لتطورات جديدة شهدها عهد الاستقلال سنة ١٩٩١م (الادب الفارسي في طاجيكستان، ٢٢٦-٢٤٢). في غضون هذه الاعوام وبموازاة تألق النشاط الادبي لدى رموز جريئة معاصرة في طاجيكستان من قبيل مؤمن قناعت (مواليد ١٩٣٢م) وبازار صابر (مواليد ١٩٣٨م)، ولايق شير علي (١٩٤١ - ٢٠٠٠م) وعسكر حكيم (مواليد ١٩٤٦م) وگلرخسار صفي آوا (مواليد ١٩٤٧م)، كان هنا جيل جديد من الشعراء والكتاب آخذٌ بالتكون والانبثاق في جمهورية اوزبكستان، وخصوصاً مدن سمرقند، وفارش، وترمذ، وطاشقند، وفرغانه العريقة.... جيل نهض من وسط ألسنة النار للحفاظ على مشعل الاجداد وهاجاً نيراً، وراح يقطع خطوات راسخة بأعين مفتّحة نابهة في طريق سبق أن سلكه الاجداد قبل مئات السنين. اذا كانت دوشنبه وخجند قد حلّتا في اعوام الانحسار محل سمرقند وبخارا وترمذ وفرغانه كمراكز رئيسة للتحولات الادبية لدى الشعوب الارية في ماوراء النهر، ففى الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين، نهض جيل جديد فى هذه الأرجاء مستفيداً من اجواء الاستقلال والحرية، وطفق يعبّئ كل طاقاته استعداداً لارتقاء القمم التي بلغها الأسلاف (كهكشان آرزو [مجرة الامال] ٣-٦).

في الوقت الحاضر يمكن دراسة الشعراء والادباء في جمهورية اوزبكستان موزعين على خمسة مناخات ادبية، ولا يفوتنا القول أن الصحف الصادرة باللغة الطاجيكية «الحان طاجيكستان» تأسست ١٩٢٤م، و«صوت سوخ» تأسست ١٩٥١م، و «ألحان سمرقند» تاءسست ١٩٩٠م، و «سمرقند» تأسست ١٩٩١م، و«صوت سرخان» تأسست ١٩٩١م، و «بخارا الشريفة» تأسست ١٩٩٢م، لعبت دوراً مميزاً

في تنشيط هذه المناخات الادبية الخمسة:

١. المناخ الادبى لطاشقند بشعرائه وكتابه المعروفين: عبد اسبحان (مواليد ١٩٥٥م) وپيمان (مواليد ١٩٥٥م).

٢. المناخ الادبي لسمرقند برموزه المشهورة: حيات نعمت سمرقندي (مواليد ١٩٤٩م)، وادش استد (مواليد ١٩٤٦م) واكبر پيروزي (مواليد ١٩٤٧م) وحضرت صباحي (مواليد ١٩٤٨م) ومحبوبة نعمت زاده (مواليد ١٩٤٩م) وشهزاده (مواليد ١٩٧٥م) ودلشاده (مواليد ١٩٧٥م) وپريسا (مواليد ١٩٨٠م).

٣. المناخ الادبي في سرخان دريا، ومن اءلمع ادبائه: روشن احسان (مواليد ١٩٤٥م) وجليل خالبدى (مواليد ١٩٤٦م) وسليمان خواجه نظر (مواليد ١٩٤٧م) وشادى كريم (مواليد ١٩٥٣م) وعبد ا رحمان (مواليد ١٩٥٤م) وسعيدة سينوي (مواليد ١٩٦٣م) وجعفر محمد (مواليد ١٩٦٨م) وچهار شنبه دهنوي (مواليد ١٩٥٠م) واسد اشكوروف.

٤. المناخ الادبى لمدينة فرغانه باءقطابه المعروفين: محمد شادي (مواليد ١٩٥٩) وظفر صوفي فرغاني (مواليد ١٩٦٤م).

٥. المناخ الادبي لبخارا ويمثله: امين جان شكوروف (مواليد ١٩٣٣) واسد گل زاده (مواليد ١٩٣٧م).

ثمة للادب الفارسي - الطاجيكي في اوزبكستان على مستوى الشعر نماذج قيمة بالنمطين التقليدي والحديث. يلاحظ هذا المنجز غالباً في الاشكال الشعرية المسماة فارسياً: غزل، ودوبيتي، ودوبيتي الحديث، والرباعي، والمخمس، ونادراً ما نجده على شكل المثنوي أو القصيدة.

ومن أبرز الاسس الموضوعية والمضامين التي طرقها الشعر الفارسي-الطاجيكي المعاصر في جمهورية اوزبكستان يمكن الاشارة الى استعادة واعادة انتاج الهوية الوطنية في ضوء لغة الأم، والتعرف الى الذات والدعوة الى الصحوة الوطنية، والتعبير عن الالام التي تركتها جراح التاريخ ولاسيما في المئة عام الأخيرة ، والتفاخر بتراث الاسلاف الثر العظيم، واستذكار مفهوم الوطن بالتشديد على المقاطع الثقافية والاقليمية، واستحضار اهميتها في صيانة الهوية اللغوية والوطنية لسكان ماوراء النهر لاسيما الانحاء العريقة في سمرقند، وبخارا، وفرغانه، وترمذ، وتسجيل اللحظات العاطفية

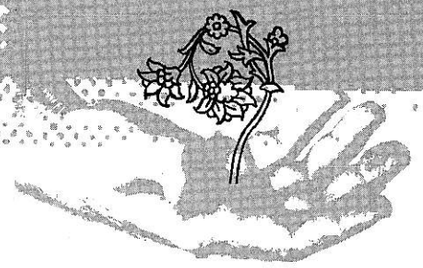

واختلاجات الحب والخواطر العرفانية، والعودة الى التقاليد الدينية والاجتماعية، والنظرة الاسطورية لابطال الشاهنامه (ملحمة أبي القاسم الفردوسي). ورغم ان هذا التراث اكتسى طابعاً جغرافياً واضحاً يختص بمنطقة ماوراء النهر، وتأثر في كثير من الاحوال ولاسيما على صعيد النثر بتلك الجغرافيا، الا انه على صعيد الشعر ذو قدرة فائقة على التواصل مع الناطقين بالفارسية في العالم الايراني بطاجيكستان وايران وافغانستان، ولهذا بوسعه الاستلهام بسهولة من لغة واساليب وسياقات شعراء الفارسية ـ الطاجيكية في الارجاء المذكورة . بل أن البصمات التي تركها شعراء طاجيكستان وايران على شعراء تلك المنطقة ناصعة لا جدال فيها، ويعد نيما يوشيج، وسهراب سپهري، ونادر نادر پور، واحمد شاملو، وفروغ فرخ زاد من ايران، ولايق شير علي، وبازار صابر، وزلفية عطائي، ومؤمن قناعت، وفرزانة خجندي من طاجيكستان من الاسماء والرموز المعروفة في تلك الانحاء الاوزبكية (اطلالة على الشعر المعاصر في طاجيكستان، ٢٦٥ـ٣١٧).

تتباين اللغة والاداب الفارسية ـ الطاجيكية المعاصرة في منطقة ماوراء النهر عن الفارسية الايرانية بنحو جلي في المضامير الثلاثة: المفردات، وقواعد اللغة، والتلفظ (نظام الايقاع والتهجي) وتسفر هذه التباينات عن نفسها اكثر حينما يعبّر عنها بالخط السير يليكي (اللغة الفارسية في ماوراء النهر [الطاجيكية] ٦٢ـ٨٢، جدول اللحظات ٣٨٣، فارسية ايران وطاجيكستان ٣٠ ـ ١٥٨).أن سلطان الشعر الكلاسيكي على الضمير الواعي واللاواعي لشعراء تلك الانحاء تاثيرات مشهودة كما تفعل الأواصر المغناطيسية اللامرئية على المفردات واساليب رصفها في العبارات المختلفة، لذل لانجد في كثير من الاحيان تفاوت هائل بين المنجز الادبي لتلك الأرجاء والفارسية الدارجة في ايران. على أن لغة الشعراء المعاصرين الطاجي اكتسبت فوارق ملحوظة عن اللغة المعتمدة في ايران بفعل التحولات التي طرأت خلال القرن الاخير، لاسيما بعد عام ١٩٢٤م ـ حيث اطلق على هذه اللغة

اسم اللغة الطاجيكية ـ وتركيزها على لغة عموم الناس.

تجارب الصور الخيالية في الشعر الفارسي ـ الطاجيكي المعاصر في اوزبكستان رغم اقتباسها الواسع من التراث القيم للشعر الايراني والطاجيكي، بيد انها لا تزال في اول الطريق، ولذا فهي ما برحت ـ بطبيعة الحال ـ بدائية غير ناضجة. بما أن هذا الشعر لم يتشبع بعد من المعين الزلال لموروثه الغني الفاخر، لذا يبدو وكأنه يظهر الى النور لأول مرة . ورغم أنه منجز شعرى انقلب في العديد من نماذجه الى شعارات، واقترب من مجرد النظم، الا انه بسبب جنوح فرسانه الى لغة اسلافهم جدير بالثناء الى درجة التقديس، خصوصاً وان شعراء وادباء تلك النواحى بعكوفهم المركّز على موروث اسلافهم ولغتهم، ضاعفوا من الفسحات الابداعية والامكانات التطويرية الحديثة لهذا الشعر بعد حقبة طويلة من الانحسار امتدت الى عشرات السنين. ولاريب أن احفاد رودكي سيكون لهم في السنوات القادمة الكثير مما يعرضونه في انحاء ماوراء النهر.

المحصّلة:

مع اعلان البيروسترويكا والغلاسنوست في الاتحاد السوفيتي السابق، وانفتاح بوابات الحرية بوجه جمهوريات ماوراء النهر سنة ١٩٨٥م وهي نقطة عطف التحولات الحديثة في أدب عهد الاستقلال الذي انطلق عام ١٩٩١م، دشن شعراء الفارسية ـ الطاجيكية في المدن العريقة ببلاد ماوراء النهر حقبةً جديدةً من حياة الشعر الفارسي في تلك الناحية من العالم الايراني مستفيدين من المناخ السياسي الجديد، ومتطلعين الى تراث اسلافهم الذين يتألق منهم رودكي سمرقندي رائد الشعر الفارسي ككوكب خالد الى الابد. وهنا يبرز نصيب الشعراء والادباء في المناخات الادبية لسمرقند، وترمذ، وفرغانة، وطاشقند اكبر من سواهم. انه عهد ينمو وينضج باستمرار في الوقت الراهن عبر تعزز الوشائج بين اولى الشعراء وابناء لغتهم في سائر انحاء العالم الايراني في طاجيكستان، وافغانستان، وايران.